الفصل الثاني

الواقعية في تناول العلاقة بين يهود الشتات وإسرائيل في روايات ميجد

يولي «ميجد» اهتمامًا كبيرًا بالشتات اليهودي، سواء على المستوى الشخصي، حيث يصرح على الدوام بانتمائه للشتات، بكل فخر، واعتزاز، حيث يقول: «إنني شخصياً، أولاً، وقبل كل شيء لست من مواليد فلسطين، وكنت لفترة قريبة، أصنف بالطبع ضمن الأشخاص القادمين من الشتات»[1].

وفي أعماله الأدبية، التي تبرز إيجابيات الشتات، ولغته، وثقافته، وتاريخه، وأهميته بالنسبة للوضع الإسرائيلي الراهن، من حيث الاستفادة من الماضي، من أجل تغيير وجه الحاضر، والمستقبل، واستلهام الدروس المستفادة من ذلك.

«يجب أن نتعلم من الماضي من أجل تغيير وجه الحاضر والمستقبل، ولا فائدة في الهرب من ثقافة الماضي وتراث «الشعب» ولكن التفتيش، والبحث في الماضي مطلوبين فحسب، إذا تعلمنا منهما الدروس المفيدة. وعلى واحد من هذه الدروس الكبيرة، يكتب اليوم الأديب «أهارون ميجد»، ومعه جمهور قرائه في دولة إسرائيل[2].

ويتناول «ميجد» الشتات في العديد من رواياته الأدبية، التي تصف بيئة الشتات، وثقافتهن ولغته «اليديش»، والأحوال الاقتصادية، والسياسية، آنذاك، وذلك من

---

١) ياسر يعقوب، سيحوت هشافوع عم أهارون ميجد، هجل هحدش بسبورت منوتاق من هرتصاف هقودم، عل همشمار، ٣/ ١١/ ١٩٩٤، ص١٩.

٢) فسرمان يحيائيل، سفت هييدي كمشال، معاريف، ٢٥/ ١١/ ١٩٨٧، ص٨.

خلال حوارات شخصياته، وخاصة في رواية «فويجلمان»، التي يقول عنها: «عندما انتهيت من كتابة رواية «فويجلمان»، قلت لنفسي»: هذا هو المطلوب، قلت هذا يعنيني، تلك هي وصيتي، هذا الذي أرغب في بقائه»[1].

ويقول عنها، أيضاً، توجد في هذه الرواية «فويجلمان»، رواسب عاطفية عميقة جداً عن ارتباطي «بالشعب اليهودي» (في الشتات)، حيث إنه الارتباط المهم جداً بالنسبة لي[2].

وبناء على هذه الرؤية يتناول «ميجد» الشتات في أعماله الواقعية، بانحياز تام للشتات، ومن خلال التناول الواقعي، يبرز «ميجد» الاختلاف الواقع في ثنايا المجتمع الإسرائيلي حول الشتات، وأهميته، واستلهام العبر منه، في مقابل الرافضين، رفضاً تاماً، للشتات، وتاريخه، لما يرون من سلبيات، وأحزان يجب التغاضي عنها، وعدم الاهتمام بها في مقابل الاهتمام بالمستقبل، والحاضر الراهن، بعيداً، عن الماضي، وأحزانه. وبين هذا وذاك، بين الرفض والتأييد، يناقش «ميجد» الشتات، ودوره بالنسبة للوقت الراهن. وللمجتمع الإسرائيلي، حالياً، وذلك من خلال أعماله الروائية، وتناوله الواقعي لتلك العناصر. وسوف نتناول ذلك من خلال الصراع بين ثقافة الشتات، والثقافة العبرية، وكذلك الصراع بين اللغتين اليديش والعبرية. والمقابلة بين الثقافتين في الماضي والحاضر.

«وإذا وجدنا أن دعاة لغة اليديش يعبرون عن موقف متطرف، فيكفي أن نوجه الاهتمام إلى صور من التفكير الحديث الأكثر اعتدالاً، وهي صور موجودة بقوة في

(١) إيال ميجد، مع أهارون ميجد وإيال ميجد، حايم أحريم، معاريف هشافوع ٢٣-٨-١٩٩١/٨/٢٩، ص ٣٠.

(٢) المصدر نفسه، ص ٣٠.

إسرائيل، أيضاً. ومن الأمور المعتادة، الحديث عن «التأصيل اليهودي» العظيم، لدى يهود أوروبا الشرقية، وعن كونهم «يهود حقيقيين»، بالمقارنة باليهودية الأضعف لدى يهود الغرب، الذين يفتقرون لـ«الرابطة القوية مع الشعب اليهودي». في أي شيء تبدو يهوديتهم ضعيفة. ليس القصد هنا بالذات «ورعهم الديني»، بل من الواضح أن ما يكمن داخل هذه الادعاءات، هو الإدراك بأن يهود الغرب «ليسوا يهودا حقيقيين»، انطلاقاً من عدم انتمائهم إلى القومية اليهودية الخاصة بشرق أوروبا» (١).

وهناك الاتجاهات التي تعمل على رفض الشتات، ولغته، وذلك بتبني الدفاع عن العبرية، وجذورها القديمة «فقد ضمت الحركة الصهيونية، منذ البداية، اتجاهات رومانسية عاطفية قوية، سواء من أجل «العودة إلى لغة الآباء»، أو «العودة إلى صهيون»، سعياً وراء الهرب من الشتات. وقد تضمنت هذه الاتجاهات، تبني أسطورة «العصر الذهبي»، ومنذ بداية الاستيطان اليهودي الجديد في (أرض إسرائيل)، اعتبر المستوطنون أنفسهم عائدين إلى أيام يهوشع، والقضاة، أولى أيام داود، وسليمان، أولى أيام الحشمونيم، ولصوص الصحراء» (٢).

ويمثل الشتات ركيزة مهمة بالنسبة للصهيونية، من حيث توجهاتها في بداية تبلورها كحركة: «ينبغي التأكد بداية على أن الصهيونية، قد بدأت، في نهاية القرن التاسع عشر، ليس من أجل أشواق جديدة إلى فلسطين، ولا بسبب كراهية مفاجئة لأماكن إقامتهم فيها، رغم أن أبواب فلسطين كانت على الدوام مفتوحة أمامهم،

(١) بوعزعفرون، الحساب القومي(ترجمة وتعليق دكتور/ محمد محمود أبو غدير – مركز الدراسات الشرقية – كلية الآداب – جامعة القاهرة – مطبعة جامعة القاهرة والكتاب الجامعي)، ١٩٩٥ ، ص ٢٠٧.

(٢) المصدر نفسه، ص ٢١٢.

وكذلك، أيضاً، لا بسبب الأشواق الدينية إلى فلسطين، لأن هذه الأشواق لم تحرك اليهود عبر التاريخ من أماكن إقامتهم، ولا خارجها للذهاب إليها، رغم عدم وجود صعوبات في هذا السبيل. ولكن الصهيونية بدأت بسبب الإحساس بالخوف من «الشتات»، بتأثير عاملين أثرا على وجود هذا الشتات في أوروبا، خلال هذه الفترة، وهي ازدياد موجات الاندماج اليهودي في المجتمعات الأوربية، وموجة الاضطهاد»[1].

وقبل أن نتناول الشتات من جميع هذه الخطوط، في روايات «ميجد»، نقف مع الكاتب مرة أخرى، عند رؤيته الشخصية للشتات، وما كتبه خصيصاً للشتات، مثل رواية «فويجلمان»، وذلك من خلال حوار بين «ميجد»، ونجله «إيال»، الشاب الصحفي، وتبادل الأفكار والرؤى بينهما، بما يؤكد أن «ميجد» كتب رواية «فويجلمان»، إجلالاً، وحباً للشتات. ولغة الشتات «اليديش»، التي يفضلها عن العبرية، على الرغم من أنه يكتب أدبه بالعبرية، وهي اللغة الرسمية لإسرائيل.

يقول «ميجد» في حواره مع نجله الأديب والصحفي «إيال»، في مقابلة صحفية على صفحات جريدة «معاريف»:

-« قلت، إنك ترى، أن لغة اليديش. هي إبقاء لروح الشعب اليهودي، التي دمرت؟

- هذا وصف طيب، ففي أعقاب «أحداث النازية»، كان تعاطفي مع اليهود الذين هلكوا، حيث عبرت عن تعاطفي بمشاركة وجدانية قوية جداً، مع لغتهم، وبالإحساس بمأساة اندثار تلك اللغة، حدث هذا، ولو من باب الحنين، والشوق للغة الأم للشعب، اللغة التي تعرف العناق والقبلات. اللغة العبرية ليست كذلك،

(١) الشامي، الشخصية اليهودية ..، مصدر سبق ذكره، ص ٨٣.

فهي ليست لغة ودودة»[1].

ويواصل «ميجد» حديثه، قائلاً:

«في عام (١٩٥٢)، نشرت القصة «يد فاشيم»، التي كتبت في حب هذا العالم «عالم الشتات»، وهذا لم يحدث معي دفعة واحدة.

- على حد علمك كيف انتقل هذا الحب إليّ؟

- أظن أن لديك ارتدادا عن عناصر الوجود الإسرائيلي، فأنت تبحث عن أسس لثقافة ليست هنا «إسرائيل»، وربما كانت في «الشتات».

- عندما زرت «شرنسك»، مدينة جدتي «مسقط رأسها»، و «بولنسلفك» مدينة جدي، حيث ولدت أنت «أهارون ميجد» (١٩٢٠)، هناك، شعرت كثيراً بالعودة لطفولتي – أكثر مما شعرت بالعودة «للجذور» – تلك الأماكن ذكرتني «بالموشافاه»، التي تخصهم هنا، والتي محيت تقريبا، ونهائياً، من الخريطة، لقد أعادني «الشتات» إلى الماضي المفقود الذي يخصني، وذلك بشكل مغاير جداً، على الرغم من عدم وجود حياة به، منذ زمن بعيد»[2].

وعلى الرغم من تأكيد «ميجد» على حب الانتماء «للشتات اليهودي»، وللثقافة الخاصة بها، وتأكيد انتقال هذا الشعور، والحب إلى «نجله»، الذي يمثل جيل الشباب المولود في إسرائيل، والذي يبحث عن جذوره المفقودة، التي لا يجدها في إسرائيل، ولكن يجدها في الشتات، فإنه يبدو من الحوار، أن هذه الحالة حالة خاصة، تمثل الموروث العائلي بين الأديب «ميجد»، ونجله «إيال»، وهو صحفي وأديب، أيضاً، ولا يمكن الحكم بأنها حالة عامة، وشاملة تمثل جيل الشباب.

(١) ميحب، مصدر سبق ذكره، ص ٣٠.

(٢) المصدر نفسه، ص ٣٠.

ويستمر «ميجد» في تأكيده على الانتماء للشتات، ولغته «اليديش»:

« في يد فاشيم»، إحدى القصص التي حظيت بشعبية كبيرة، وفيها يقع صدام بين زوجين شابين من مواليد إسرائيل، مع جدهما القادم من روسيا، الصدام عاطفي، وأيضاً، فكري لأن «الجد» لا يستطيع التسليم بالرؤية المنتسبة «للكنعانية» ، خاصتهم حيث بدأ الجميع هنا «إسرائيل»، وخلقت ثقافة جديدة دون الارتباط بالشتات، وهذا الشخص «الجد»، أنا أميزه كثيراً جداً. ذلك الشخص الذي أفرد أمامهم كل البانوراما الواسعة لثقافة عمرها ألفي عام خارج إسرائيل، حيث تربى، وكبر عليها حكماء جاؤونيم، ولأنهم قاموا بإلغاء ذلك، وبدؤوا بما هو جديد، على الإطلاق، حينئذ أصنف أنا «ميجد»، مع كثير من الناس مثله، وكما هو مفهوم «فويجلمان»، «بطل رواية فويجلمان»، أنه على وجه العموم، ليس إسرائيلياً، وعاش أيضاً خارج الدولة، وعندي تطابق وانسجام مع اليهودية التاريخية، وأيضاً، مع «اليديش»، ومع مأساة شعب قد دمر، وبقيت له لغته «اليديش» [1] .

وتعد رواية «فويجلمان»، بمثابة سجل للشتات، وما يموج به من ثقافة، وحياة، ولغة «اليديش»، ومن عادات وتقاليد، أراد الكاتب أن يثني عليها، ويبرزها، وخاصة اللغة، التي تعد وسيلة التعبير عن هذا العالم، ويرغب الكاتب لها أن تأخذ دوراً في الثقافة المعاصرة بإسرائيل. وعن هذه الرواية يقول إبراهام هجوراني : «رواية فويجلمان»، «لأهارون ميجد»، تظهر في توقيت مناسب، وهي ليست الرواية الأولى، و«ميجد» ليس في حاجة إلى أن يسير عكس التيار، فالحدث الذي يحكي عنه من الممكن أن يتعلق بكل أسرة إسرائيلية. ولا توجد أية أسرة إسرائيلية جذورها غير مغروسة، في ذلك الواقع اليهودي تلك الجذور، وذلك الواقع اليهودي

(١) يعقوب، مصدر سبق ذكره، ص ١٩.

يكادان أن يختفيا، أيضاً، إذ إن الأسر الحالية في تسلسلها، لا ترغب في التعرف على ذلك، أو في تذكر، واجترار تلك الذكريات، والجذور»[1].

وعلى الرغم من الانتماء للشتات، وجذوره، فإن الجيل الشاب يرفض هذه الجذور، ويأتي الرفض بالتجاهل، والنسيان، وعدم الرغبة في العودة لتلك الأحزان. وهنا في الرواية نجد أن «يوآب»، الذي يمثل جيل الشباب غير راض عن مهنة والده، كباحث في التاريخ اليهودي، وغير راض عن مسلك يهود الشتات، وقت أحداث النازية.

كما هو على سبيل المثال، في الرواية «فويجلمان»، « يوآب »، نجل «نورا»، والبروفيسور أربيل مدرس التاريخ اليهودي، الذي يخدم بالجيش بسلاح المدرعات، وفور انتهاء خدمته بالجيش، يأخذ على عاتقه مهمة السفر بعيداً، إلى خارج البلاد، إلى كولومبيا، وهو لا يفهم مغزى استمرار والده البروفيسور «أربيل»، في عنايته بدراسة التاريخ اليهودي، على غرار الذي تحدث عنه «هزاز»، في روايته «الموعظة»، حيث نجد أن بطل الرواية يصرخ قائلاً:« ليس لنا تاريخ ». وكذلك بطل رواية «فويجلمان»، شاعر الييديش، موجه له اتهام الشعور بالذنب، لأنه لم يكن هناك وقت أحداث النازية. وفي المقابل، فإن «يوآب»، ليس لديه أي شعور بالذنب، لأنه مولود بإسرائيل، ومتزوج من امرأة من بئر طوبيا، من رامات جان. «وفويجلمان» لا يثق بالقوة العسكرية الإسرائيلية، وفي آخر أيامه، كان عقله ينبض بالحماس، فهو واحد من الناجين من «منديك»، إحدى مدن شرق أوروبا، وذلك الحماس لتلك الخدعة، التي تزدهر في العقل اليهودي، وتخلص الدولة من خطر الدمار، وهنا يأس الموت، ورهبته هما الأساس.

(١) إبراهام هجوراني، لييديش بأهفاه، معاريف، ٤/ ١٢/ ١٩٨٧، ص ٤.

وفويجلمان شاعر ييديش، استبد به الخوف، والقلق، والهلع اليهودي المغروس في وجدانه، ولا يمكنه التخلص منه، ولم يستشعر هنا «إسرائيل»، أيضاً، مع هذا الخوف قوة ليستقر، ولو جزئياً، في أيامه الأخيرة»[1].

ويشير الناقد إلى ما عبر عنه «ميجد»، في الرواية بشأن تبرير عدم اهتمام الشباب الإسرائيلي بالجذور الأولى في الشتات، لأن النشأة، والمولد، والحياة، والزواج، جميعها أمور تمت حديثاً، في عهد الدولة (إسرائيل)، علاوة على نظرة الشباب إلى جيل الشتات، الذي عاصر أحداث 'لنازية، بشيء من التقصير، أثناء الأحداث، بسبب المواقف السلبية تجاه ما حل باليهود، آنذاك.

*** الييديش هي اللغة الأم للثقافة اليهودية:**

تعتبر الأم الركيزة الأساسية للأصول والقومية في العقيدة اليهودية، فاليهودي الخالص، هو المولود من أم يهودية، وهذا هو المهم، فإذا كان الأمر كذلك، نجد أن «ميجد» يشير في روايته «فويجلمان»، إلى أن «الييديش»، هي اللغة الأم للثقافة اليهودية. ويلقي اللوم على الدولة كلها' لعدم اهتمامها بتلك الأم.

ويروي شاعر الييديش:

«وضمن تلك الأمور من الاهتمامات العامة، تتغلغل، أيضاً، المرارة الشخصية، لقد زار البلاد ثلاث مرات، عند شقيقه في الرملة «إسرائيل»، وسار كما لو كان متسولاً في حفل زواج. وباستثناء حفنة قليلة من أدباء الييديش، لم يسمع عنه أحد، ولم يقرأ شعره أحد، دخل ذات مرة- بدافع الفضول- إلى اجتماع كبير لرابطة الأدباء العبريين، ولم يرحب به أحد هناك. وعندما قدم نفسه للسكرتير. لم يدعه لفنجان شاي، وانصرف عنه، وتركه وحيداً. هل كان يتبع هذا الأسلوب مع أديب

(١) المصدر نفسه، ص ٤.

إنجليزي، أو أديب فرنسي، أو حتى مع أديب ألماني، سليل شعب القتلة، إذا ما جاء إليه كضيف؟ وإذا كانت ثقافة الشعب، هي بمثابة «أسرة»، لها أب وأم، وأبناء وبنات- فماذا يحدث لهذه الأسرة عندما تطرد الأم من البيت؟- فإذا كانت العبرية هي الأب للثقافة اليهودية، فاليديش هي الأم، التي ورثت، وأورثت، وجمعت واكتنزت الحكمة الشعبية، والأمثال، والأساطير، والفكاهة، وأغاني هدهدة الطفل، إنها هي التي أضفت الدفء على البيت، إنها لم تسمى «اللغة الأم» من فراغ، وها هي إسرائيل العصرية مملكة، ويوجد بها أعمال مجيدة، وأيضاً، سلوكيات المملكة، ولكن ليست بها الأم» [1].

وهكذا، وضع «ميجد» لغة اليديش، من خلال معاناة شاعر اللغة الأم، وإحساسه بالضآلة في إسرائيل، في أعلى قمة لها، بحيث أصبحت هي الركيزة الأساسية، والأم للثقافة اليهودية، وعلى الرغم من تجاهل أدباء العبرية للغة اليديش، وأدبائها، وشعرائها، ومعاملة أحدهم بصورة تقل عن معاملة أي ضيف أجنبي، وغريب، وحتى لو كان ضيفاً ألمانيا، «سليل قتلة اليهود»، حسب التعبير الوارد في الفقرة.

يقول الكاتب : إن اليديش، هي التي أبقت على الثقافة اليهودية، وحفظتها من ماضيها إلى حاضرها، حسب التعبيرات التالية:-

« ورثت، أورثت، أصَّلت، جمعت، اكتنزت»، وهي كلمات، تناسب التشبيه الذي نعته «ميجد» لليديش بالأم لأسرة كاملة. ويستصرخ الكاتب من خلال معاناة بطل الرواية «شاعر اليديش»، الاهتمام بالأم، لأنها هي الأصل، وهي التي تحافظ على التوازن الثقافي، كتوازن الأسرة، التي يرعاها الأب والأم، معاً.

(١) ميجد، مصدر سبق ذكره، ص ٣٥-٣٦.

وحول مرونة اليديش، وإمكانية تطويعها، دار هذا الحوار برواية «فويجلمان»، بين أحد أبطال الرواية، و «تسفى أربيل»، «أستاذ التاريخ اليهودي»، على النحو التالي:

«انحني، فجأة، تجاهي، وهمس سائلاً: أريد أن أعرف إن كنت قد نشرت كتاب أشعار باليديش؟

إنها شائعة تداعت إلى سمعي، أليس هذا حقيقياً؟»

ضحكت، وقلت له : إنني لم أكتب شعراً، على الإطلاق، فما بالك باليديش.

وجه ابتسامة نحو عيوني، وفكر مليًا، وقال بعد ذلك: أنا، ربما كان كل ما أعرفه من اليديش، هو عشر كلمات، وهي كلمات فظة. ولكن اليديش لغة جيدة، مرنة، من الممكن تطويعها، لكن العبرية من الصعب تطويعها، سمعت في إحدى المرات شيئاً لطيفاً من صديق لنا، بولندي:

«إن العبرية لغة الزمان، أما اليديش فهي لغة المكان».

لم أفهم بالضبط، ولكن هذا الشيء بدا جيداً، لأنه يحوي شيئاً ما» [1] .

هنا يأتي الإعراب عن مرونة لغة اليديش، في مقابل صعوبة اللغة العبرية، من قبل متحدثي اليديشية، والمدافعين عنها، حيث تمثل لسانهم على مدى زمن طويل في الشتات، لأنهم تربوا عليها منذ نعومة أظافرهم، ولكن العبرية حديثة العهد بهم، حيث تعلموها بعد الهجرة، وخاصة لغة الحديث اليومية، إذا كان بعضهم قد تعلمها من خلال الدراسات الدينية، كلغة مقدسة في الشتات.

وفي نفس الرواية، توجه «نورا»، نقداً لاذعاً لزوجها «أربيل»، لاهتمامه بالتاريخ

(١) المصدر نفسه، ص ١٨٧ ـ ١٨٨.

اليهودي في الشتات، والتنقيب عن الماضي، وآثاره، فهي ترفض الشتات، ولغته، وما يستتبع ذلك من أحزان، مع اجترار تلك الأحداث، من خلال دراسة التاريخ، تقول نورا:

«عندما تزوجنا، قلت له : لماذا تشغل نفسك بأمور واقعة تحت الأرض؟ من الواجب أن تشغل نفسك بالأمور التي تعلو الأرض، وقلت له : الآثار هي الماضي، الحقول هي المستقبل»[1].

يتبادر أمامنا، الآن، عند تحليل هذه الفقرة، سؤال لماذا ترفض «نورا» التاريخ اليهودي القديم، المتعلق بالشتات بصفة خاصة، على الرغم من أنها زوجة لأستاذ للتاريخ اليهودي، وباحث به في جامعة تل أبيب.؟».

وللإجابة على هذا السؤال، نقول: نورا تمثل الحاضر، في مقابل الماضي، المتمثل في زوجها «أربيل»، ومن جهة أخرى، تعمل باحثة في معمل بيولوجي، هدفها خدمة المستقبل، وفي نفس الوقت فهي ترفض، تماماً، اجترار أحزان الشتات، المتمثل في شخصية «فويجلمان»، الذي دمر حياتها، وحياة أسرتها بعد وصوله إلى إسرائيل، وتعاون زوجها «أربيل»، معه في إخراج كتاب أشعار «اليديش»، مترجمًا للعبرية، مما أحدث شرخاً اجتماعيًا بين «نورا» و «أربيل»، وانفصالهما، ثم انتحارها فيما بعد، وكان قد حدث بينهما شرخ اقتصادي، بسبب الأموال التي أنفقها زوجها على ترجمة، وطبع أشعار «فويجلمان».

وبالإضافة إلى ذلك، فإن «نورا» تعود جذورها إلى ألمانيا، ولها آراؤها الخاصة بالشتات، وأحداث النازية، وأن هناك إيجابيات قد وقعت مشكلة حوادث لصالح اليهود، من جانب المسيحيين هناك».

(١) المصدر نفسه، ص ١٧٤.

وحول ذلك جاء على لسان «تسفى أريبل»، قوله:

«في بحث حول اضطرابات «بتلورة»- على سبيل المثال- استطعت أن أبرز في أول الصورة، أعمال الإنقاذ، التي قام بها المسيحيون، والتي حدثت، تقريباً، في كل مدينة. في «زاموشيتس»، حسب إحدى الوثائق، كان هناك صانع براميل بولندي، خاطر بنفسه، ودخل لبيت يهودي- بينما كان يصول، ويجول المشاغبون في الشوارع- وأخرج من داخل البيت، أربع فتيات صغيرات، واصطحبهن لمنزله، وخبأهن في الكور، في صحن بيته، وبعد ذلك في الحفرة، التي حفرها في بستانه. كان هناك في «دفوفا»، و«كريتويا أرزو»، و«ريتاسيا»، و«براتوفان»، مسيحيون تفاوضوا مع «القوزاق»، من كتائب «بتلورة»، وطلبوا منهم عدم الإضرار باليهود، الذين كانوا قد توصلوا إليهم، بوصفهم أعداء، ولكن أزاحوهم من طريقهم إلى الأحياء اليهودية، كانوا يدافعون عن جيرانهم بأجسامهم، وعن الذين منحوهم مخبأ في بيتهم».

ويمكن القول، بأن هذه الأعمال كانت بسيطة، بأغلب الآراء، وغير عادية، حيث إنها تنطبق على الجميع، ولكن هذه الأعمال لا تتعلق بالمؤرخ الباحث عن شرعية معينة، بعيدة من الواقع. ولكن هنا تثار مسألة أساسية، إذ إنه كثيراً ما فكرت فيها خلال مسيرة عملي، إما كمدرس للتاريخ، أو كاتبه، لأني أدرس التاريخ، وأكتب، أيضاً، «حسب رأي بوركردت»، ليس فحسب، رؤية المستقبل على ضوء الماضين أو كالقول الروسي «تاريخ ويطة من أجسترا»، أعني «التاريخ هو معلم الحياة»، ويجب استخلاص العبر منه.

لماذا يجب على المؤرخ أن يكون خاضعاً للعلاقة الكمية للواقع؟ وربما العام الذي يجب أن يكون ممسكاً بيده. هو ذلك القول:

«إن شمعة واحدة صغيرة، من الممكن أن تضيء الظلام كله».

وليس كل الظلام قادرًا على إطفاء ضوء شمعة واحدة صغيرة، وبالطبع الأعمال الخيرة مهما كانت قليلة، فهي التي ينبغي إبرازها، لأن الأمل أياً كان، يكون شمعة تهتدي بها الإنسانية»[1].

الصورة المرسومة من واقع أحداث النازية، تزيح الستار عن جانب إيجابي في مساعدة اليهود للأخذ بوسائل الحياة، والنجاة من الإبادة، على الرغم من الإشارة إلى أنها كانت بحجم صغير، ولكن يجب الإشادة بها.

ومع استمرار «أهارون ميجد»، في تناوله لموضوع الشتات، ولغته «اليديش»، والآثار المترتبة على العلاقة بين هذا العالم ـ كما يسميه ـ وبين إسرائيل، فإنه يلتزم الخط، والنهج الواقعي في التناول الأدبي.

ومن هنا، تأتي الصورة كاملة، وصادقة، ومعبرة من جميع الاتجاهات، عندما تناول أحداث التاريخ، من خلال عمل «تسفي أربيل» أستاذ التاريخ، تناول الاتجاهات الرافضة لهذا التاريخ، كأحداث، وكمهنة، وذلك من خلال النقد الموجه لأربيل، من أقرب المقربين إليه، من ابنه «يوآب»، ومن زوجته «نورا».

ومن جهة أخرى، لم يغفل «ميجد» الأحداث الإيجابية، التي وقعت في الشتات مع أحداث النازية، فقد رصد بواسطة بحث قام به حول أحداث «بتلورة»، بعض الأعمال، التي قام بها المسيحيون في مساعدة اليهود، وإخفائهم، بعيداً، عن أيدي فصائل الإبادة، في تلك البلاد. وقد كانت الصورة صادقة من حيث الكم، فقد أعرب عن أنها حوادث فردية، ولكن يجب الإشادة بها، والإشارة إليها، لأنها مع

(١) المصدر نفسه، ص ١٥٢.

صغر حجمها، تمثل اتجاهًا مغايراً لما حدث، وتزيح الستار عن أعمال مهمة لصالح اليهود في الشتات.

«يجب أن نتعلم من الماضي، من أجل تغيير وجه الحاضر، والمستقبل، ولا فائدة للهروب من ثقافة الماضي، وتراث الشعب، لكن التفتيش، والبحث في الماضي مطلوبين فحسب، إذا تعلمنا منهما الدروس المفيدة.

وحول واحد من هذه الدروس الكبيرة يكتب اليوم الأديب أهارون ميجد، ومعه جمهور قرائه في (دولة إسرائيل)، والتي قامت في أعقاب أحداث النازية»[1].

وخير مثال على ذلك كله رواية «فريجلمان»، التي كتبها «ميجد»، إجلالاً للشتات، وثقافته، ولغته.

■ قضية «الزواج المختلط»، ومن هو اليهودي؟

يصور «ميجد» إشكالية الزواج المختلط، وجذورها الأولى في رواية «رحلة في أغسطس»، ويعود بنا إلى الوراء بعنصري الزمان، والمكان، لأحداث الرواية، حيث تقع حادثة زواج يهودي من إحدى البولنديات، إبان الحرب، حيث إن أسرة زوجته قدمت له مساعدة لإنقاذ حياته من الإبادة، بإخفائه في مزرعتهم، لمدة ثلاث سنوات، تزوج بعدها من سليلة هذه الأسرة التي أنجب منها «أنـي»، وهو أحد شخصيات الرواية، وتدور حوله قضية الزواج المختلط لكونه ليس يهودياً، لأن أمه ليست يهودية، وحتى الاسم ليس يهودياً.

من هنا صور «ميجد» جذور قضية «من هو اليهودي»، المتفجرة داخل المجتمع الإسرائيلي، حيث بدأت في «الشتات»، وامتدت آثارها لتظهر بعد الهجرة إلى

(١) يجائيل، مصدر سبق ذكره، ص ٨.

إسرائيل.

تناقش الفقرة التالية قضية الزواج المختلط، والقضايا المترتبة على هذا الزواج، مثل: من هو اليهودي؟ والخدمة بالجيش، والانتماء القومي.

تشمل هذه الفقرة حوارات أبطال رواية «رحلة في أغسطس»، أثناء رحلة «دانيال»، «والد الجندي المفقود في حرب السادس من أكتوبر (١٩٧٣)»، ورفاقه في سيناء، حيث تتفجر القضية التي أشرنا إليها من قبل على النحو التالي:

- سأل دانيال بعد تجاوزهم للمطار، أي اسم هذا، أندى؟

- ضحك الجندي، وقال: اسم مختصر من أنديز؟

- صاح دانيال: أنديز، إنه اسم بولندي غير يهودي.

- ضحك أندى: إن أمي ليست يهودية.

- صاح دانيال: جميل...

- خيم الصمت...

- هو شخصيًا، لا يعرف لماذا خرجت كلمة «جميل» من فمه، ولكن الاتساع الكبير المحيط بهم، أصبح كما لو كان عنق زجاجة، يخرج منه بعد إنقاذه.

- عند وصولكم للبلاد (إسرائيل)، ألم يغيروا اسمك هذا ليصبح يهوديًا؟

- قال: لقد رفض والدي.

- ضحك «دانيال»، وقال: هل كان والدك، أيضاً، من الجوييم «غير يهودي»؟

- ضحك أندى: كلا إنه يهودي خالص، ولكن «أنديز»، هذا على اسم جدي لأمي، الذي أنقذ والدي أثناء الحرب، (الحرب العالمية).

- حينئذ، شعر والدي بأنه ملزم تجاهه بالإبقاء على هذا الاسم البولندي، فأنا

ولدت بعد موته بعدة شهور.

ـ بالطبع تهودت والدتك.

ـ كلا لم ترغب في ذلك، وضحك أندى، قائلاً: هذا غير ديني وحكى أندى عن عدم تلقيه أمراً بالتجنيد، بعد انتهاء دراسته، حيث توجه إلى مكتب التجنيد، في بئر السبع، وقدم نفسه. وهناك قاموا بفحص شهاداته، ووثائقه، ووجدوا أنه غير يهودي، ومعفى من الانخراط في صفوف الجيش، ولكنه أصر على ذلك. واستشعر والده بالإهانة الصارخة في شخصه، فأرسل عدة خطابات للسكرتارية العسكرية، ووزارة الداخلية، وإلى المجموعة المختصة بحقوق المواطن، حتى وافقوا في النهاية على قبوله، بشرط أن يتهود من جديد. وتم تأهيلي في الثامنة عشرة من عمري. همس دانيال، قائلاً: هذا محزن، هل أنت ابن وحيد؟

ـ قال « أندى»: لي أخت متزوجة، وشقيقان.

ـ هل اسمها بولندي، أيضاً؟

ـ ضحك أندى، وقال: اسمها «مارته» ضحك أندى وقال: مارته...

ـ وضحك الاثنان، معاً. كما لو كانت هذه نكتة جديدة. ولكنها متزوجة من يهودي. قال أندى: روماني صاحب جراج في بات يم. ضحك أندى كما لو كانت هذه نكتة.

ـ همس أندى، قائلاً: هل تهودت؟

ـ ضحك أندى، وقال: حسناً.

ـ والأولاد؟

ـ نعم، في اليوم الثامن كما هو مكتوب في التوراة»[1].

(١) ميجد، رواية رحلة ...، مصدر سبق ذكره، ص ١٥٤، ١٥٥.

من المتعارف عليه لدى نقاد الأدب، أن الأديب الواقعي يتفاعل مع مجتمعه، الذي يعبر عنه، وأن يلتزم الصدق، والموضوعية، فيما ينقل من واقع هذا المجتمع، ونجد هنا أن «ميجد» يتفاعل مع مجتمعه، بكل صدق، وواقعية في رسم الصورة كاملة، بكل تفاصيلها، وجذورها، وعناصرها الكاملة، شاملة الزمان والمكان، ومعبرة عن شخصية الكاتب، وسيرة حياته، وعلاقته بالزمان والمكان.

ففي الفقرة السابقة، رصد «ميجد» قضية الزواج المختلط، من بداية جذورها في الشتات ببولندا، وحتى شعَّبت ثمارها، وتشعبت فروعها، في الوقت الراهن، في المجتمع الإسرائيلي.

١ - زواج اليهودي في الشتات ببولندا، من بولندية، بعد أن قامت أسرتها بإنقاذه من الإبادة، إبان الحرب «بولندا»، هي مسقط رأس، واعتزاز «أهارون ميجد».

٢ - عدم تغيير اسم «أندى»، «اسم بولندي»، إلى اسم يهودي، عرفانًا بجميل الجد البولندي « أنديز»، ما يؤكد على الاعتراف بإيجابية الشتات.

٣- عدم الاكتراث بمسائل الدين اليهودي، والاتجاه صوب العلمانية، ما تمثل في زواج «مارتا» «غير متهودة»، وهي شقيقة «أندى»، من يهودي.

٤ - تأكيد الارتباط تاريخيًا بين الشتات، والوقع المعاصر لدولة إسرائيل، فالأحداث تعود إلى الحرب العالمية الثانية، حتى الوقت الحاضر.

وبالإضافة لقضية الزواج المختلط، وقضية من هو اليهودي؟ والهوية اليهودية، فجَّرت رواية «حادثة الأبله»، قضية حرمة يوم السبت، والاختلاف حول هذه الحرمة، بين جيل الآباء من الشتات، والجيل الشاب، الذي يسعى إلى الحفاظ على هذه التقاليد.

وفي هذه الفقرة من رواية «حادثة الأبله»، يبرز «ميجد»، قضية حرمة يوم

السبت:

- «سألت والدي: ماذا يوجد هناك على سطح المنزل؟

- أجاب، وهو يهز كتفه، لا شيء على الإطلاق، خال.

- ضحكت والدتي، وقالت بها فئران.

- لم أواصل الاستفسار، عرفت أنهم يريدون إخفاء الأمر عني، كما أخفوا عني من قبل عدم إيمانهم بالرب، عندما أرادت أمي أن توقد ناراً يوم السبت، فهمست لأبي بأن يأخذني خارج البيت، حتى لا أرى إشعال الموقد، تصرفت كما لو كنت غير فاهم، ولكن كتمت الأمر في داخلي. بعد ذلك بكيت، وأنا خلف الكشك الخشبي، عرفت أنهم سيلقون جزاءهم، كنت أتطلع إلى سطح المنزل المليء بالأسرار، عشرات المرات في اليوم، لا توجد فئران. كان السطح واضحاً أمام عيني، هناك خزانة سوداء، بها ملفوف، بداخلها أدوات الصلوات، ضمن مجمعات بالية[1].

تعد قضية حرمة يوم السبت[2]، من القضايا المهمة، التي تهز كيان المجتمع الإسرائيلي، ولذلك نجد أن معظم الأدباء الإسرائيليين يتناولونها في كتاباتهم، وخاصة رموز الواقعية، وعلى رأسهم «ميجد»، حيث تناول القضية من خلال الحوار، بين جيل الآباء والأبناء، فقد اكتشف الابن الشاب، عدم التزام والديه بحرمة السبت، منذ صباه، وامتداداً، حتى شبابه، بحيث أصبح مدركاً لهذه الأمور،

(١) المصدر نفسه .

(٢) السبت: تعتبر عطلة السبت فرضًا من فرائض التوراة ، وهي من أهم الشعائر التي تميز اليهود عن غيرهم، حتى أنهم لقبوا بأصحاب السبت، ويعتبر الحفاظ على حرمة السبت من الوصايا العشر، فالوصية الرابعة تقول : اذكر يوم السبت ، ستة أيام تعمل وتصنع جميع عملك، وأما اليوم السابع ففيه سبت للرب إلهك، لا تصنع عملا أنت وابنك وابنتك وعبدك وأمتك وبهيمتك ونزيلك الذي داخل أبوابك». سفر الخروج ٢٠/ ١-١٧.

وأصابه الحزن على انتهاك والديه لحرمة السبت، وأنهم سيلقون جزاءهم من قبل الرب.

وخلاصة القول : إن القضايا الدينية، مثل «قضية الزواج المختلط»، وقضية «من هو اليهودي؟»[1]، وحرمة يوم السبت، لها جذورها في الشتات، وامتدت حتى الوقت الراهن، وقد صور «ميجد» هذه القضايا في رواياته المتعددة، من خلال أبطال رواياته، ومعاناتهم من تلك القضايا، وتخبطهم داخل المجتمع الإسرائيلي.

وعلاوة على ذلك كله، فيما يتعلق بالشتات، وعلاقته بالواقع الراهن، في المجتمع الإسرائيلي، نجد أن «ميجد» قد قام برصد الواقع الثقافي للشتات، في مقابل الواقع الثقافي الراهن بإسرائيل، وذلك في رواية «فويجلمان».

■ الصراع بين ثقافة الشتات والثقافة العبرية :

يعاني المجتمع الإسرائيلي من مشكلة تعدد الأصول الحضارية، والمشارب الثقافية، واللغوية، المختلفة للسكان، لأن كل جماعة مهاجرة، تحمل معها ثقافتها، ولغتها، مما جعل التقارب والاندماج بين السكان، أمرًا صعبًا، وإشكالية تحمل المرارة على المجتمع الإسرائيلي. فقد خلقت هذه الإشكالية نوعًا من الغربة بين تلك الجماعات، ولذا بذلت جهود جبارة لتوحيد لسان الجميع على لغة واحدة، وهي

(١) من هو اليهودي: منذ أن طبق قانون العودة في أعقاب قيام الدولة، عرّف اليهودي طبقًا لهذا القانون، وتوالت محاولات مستمرة للمعسكر الديني للعودة على تعريف النص الشرعي بأن اليهودي هو المولود من أم يهودية أو الذي تهّود حسب الشريعة. تلك المحاولة أُجيزت بنجاح تام ولازالت حتى الآن الكلمة الأخيرة حسب الشريعة ناقصة من تعريف اليهودي في قانون العودة، لكن المؤكد تقريبًا أن المتدينين سيجدون اللحظة الائتلافية المناسبة لكي تولج تلك الكلمة ضمن قانون العودة ، وعلى أية حال لم توجد تلك اللحظة وبعبارة أخرى فإن التعريف يجب أن يصاغ « اليهودي هو الإنسان الذي يري في قرارة نفسه أنه يهودي » .

«العبرية».

ولكن على الرغم من تلك الجهود، فثمة صراعات بين لغتي «اليديش» و«العبرية»، وبين اللغة العبرية واللغات الأخرى، مما يجعل الهدف الصهيوني الرامي لصهر الجميع في بوتقة واحدة، وثقافة واحدة، أداتها العبرية، أمرًا يصعب تحقيقه، وبالتالي يظل الانتماء مفقوداً، والاغتراب مستشريًا في هذا المجتمع.

و«ميجد» في رواية «فويجلمان»، في استلهامه للواقع الاجتماعي في إسرائيل، يتعرض للصراع بين متحدثي لغة «اليديش»، القادمين من الشتات، وبين متحدثي اللغة العبرية، ونستعرض هذه الصورة من خلال حوار «تسفي أربيل»، مع ابنه عن «الشاعر اليديشي»، «فويجلمان»:

شعرت بمرارة في حلقي، وحتى نبتعد كلانا عن الموضوع السيئ، رويت لها ما قاله لي والدها «فويجلمان»، في إحدى المرات حول موضوع يدل على فكاهته المتفائلة.

قال : إن «للعبرية» وجهًا صارمًا، بينما «لييديش» ذات وجه بشوش، استشهد بمثال على ذلك ورد في «هاجاداه» الفصح، حيث كتب «بيد قوية أخرجنا الرب من مصر»، إنها فقرة كلها جدية، وصرامة، ولكن لغة «اليديش» أخذت كلمة حوزق، وتعني قوة، وجعلتها حويزق (تصغير).

وتفسيرها جعل الشخص الساذج، موضع ضحك وسخرية، ما هو صلب في العبرية، أصبح رقيقاً في اليديش.

وقال لي، أيضاً: «أنتم متحدثي العبرية فيكم صلابة شجرة السرو الصنوبرية، بينما نحن متحدثي اليديش فينا رقة البردي. وشجرة السرو هذه تكسرها الرياح القوية. ولكننا عندما نتعرض لتلك الرياح، تجعلنا ننحني، فحسب. لا تندهش،

فمع ذلك أنت ترى متحدثي اليديش، يعيشون بانحناء، ولكنهم يصمدون أكثر منكم[1].

تبرز هذه الفقرة العلاقة القوية بين العمل الأدبي الواقعي، والسيرة الذاتية للكاتب، فأهارون «ميجد» يؤكد على الدوام، بأنه ينتسب لأسرة يهودي بولندا «الشتات»، وبالتالي نجده هنا، يشيد بإيجابيات، وقوة القادمين من «الشتات»، ولغتهم، في مقابل متحدثي العبرية. ونتوقف عند بعض الكلمات الحوارية، التي أوردها «ميجد» على لسان «فويجلمان»، الذي يمثل الشتات، واليديش، وما ورد على لسان «تسفي أربيل»، ممثل الجيل المعاصر، والعبرية[2].

والكلمات تدل على وجود الحواجز بين الطرفين، مما يدل على اختلاف الانتماء بينهما.

- أنتم متحدثي العبرية.

- نحن متحدثي اليديش.

- شجرة السرو تكسرها الرياح.

- شجرة البردي تنحني.

- لكنهم متماسكون.

ضمائر الخطاب في الحوار، تشير إلى الهوة القوية بين الطرفين، مما يدل على الفرقة، والغربة، وفقدان الهدف المشترك.

ومع استمرار اللقاء بين «ابنه فيوجلمان»، و «تسفي أربيل»، تروى له محاولة

(١) ميجد، مصدر سبق ذكره، ص ١٩.

(٢) المصدر نفسه، ص ٢٠.

تعلمها العبرية في «الشتات»، وتعرب عن عدم نجاحها في الاستمرار في التعلم، نظراً للرفض التام من داخلها للعبرية.

لمعت بعينيها دموع الضحك، وحكت لي أنها عندما كانت طفلة، وأراد والدها - على الرغم من كونه متميا لجماعة البوند[1] في تلك الأيام - أن تتعلم العبرية، وأرسلها إلى مدرسة عبرية مسائية، ولكنها بعد أسبوعين، هربت منها، ولم ترجع إليها مرة أخرى: «كان بداخلي رفض على هذا النحو»، وضعت يدها على صدرها، لقد هيأ لي، وكأنني خائنة! عملية خيانة بالفعل»[2].

في هذه الفقرة، يؤكد «ميجد» على تمسك يهودي الشتات بلغتهم «اليديش»، فيقول : « ولكن فيسبرود لم يلمس كأسه، وتوجه إليّ، قائلاً: يوجد أدب عبري في إسرائيل، أنا أعلم، أيضًا، أتذكر قليلاً من القراءة. يوجد عندكم معاهد «دار الأديب»، ومقاهي يلتقي بها الأدباء، ولكن الذي كان في «وارسو» قبل الحرب، لا يوجد بإسرائيل، ولن يوجد، وحكي عن «تلومتسكا ١٣»، البيت الذي ضج بالحياة على مدى أكثر من عشرين عامًا، حيث كان الأدباء والصحفيون يلتقون فيه طوال اليوم، وحتى الساعات المتأخرة من الليل ».

ومن يأتي من خارج المدينة، وليس له مكان للإقامة، كان يقيم فيه، أيضًا، بشارع

---

(١) **جماعة البوند**: هي حاملو لواء التعصب ضد العبرية، وقد جرى في أعقابهم عددًا لا بأس به من أدباء العبرية، وبصفة خاصة أولئك الذين كانوا متحفظين ضد الصهيونية. وقد كان تمسك البوند بلغة اليديش طبيعيًا في حد ذاته، وأدى إلى خلق نظرية عن اليديش، باعتبارها ملازمة مخلصة للنضال من أجل تحسين حال اليهود في المنفى.

للمزيد راجع: دكتور رشاد الشامي، **تطور وخصائص اللغة العبرية القديمة والوسيطة والحديثة**، مكتبة سعيد رأفت، القاهرة، ١٩٧٨.

(٢) ميجد، مصدر سبق ذكره، ص ١١٤، ١١٥.

«نالبكي»، وعلى مدى بضع دقائق، سيرًا على الأقدام، من هناك، كانت توجد مؤسسة «مامعنط»، بشارع «حلودنة» المجاور، كانت هناك مؤسسة «هنيط» بشارع «ليشنا»، معهد الممثلين. وفي كل ساعة من الفراغ بين نوبة حراسة وأخرى، وبين مهمة وأخرى، كان الجميع يسعون إلى «تلومتسيكا ١٣»، يتناقشون، يتبادلون الآراء، يقرؤون، ويتنقلون بين دفتي الصحف، التي خرجت على التو من المطابع. كانت الصحف حارة، ثائرة، هناك بنبض قلب «الشعب اليهودي»، ولأسفل في الطابق الأرضي، كان هناك مطعم، أسعاره زهيدة، ودائمًا، ما تصدر منه ضوضاء الموسيقى الصاخبة، بمختلف الأصوات، وكانت هناك ساقيتان هما، «منيه»، و«فوليه»، وكانتا على صداقة مع الجميع».

« تعرفان كل ما يفضله كل واحد في مأكله، وما لا يفضله، تبذلان أقصى ما في وسعهما لإشباع الجوعى، كانوا كثيرين، الذين لا يملكون حتى فروتا في جيوبهم، يأخذون بالدين، ولم يحرصوا حتى على السداد».

« وكانت السيدة «جعبعر» المسؤولة عن الأمانات، تعرف قصص وحيوات كل مرتادي البيت، من تزوج ومن طلق، ومن طرده الناشر، ومن فُصل، ومن يزمُع استلام جائزة، ومن قُتل على أيدي النقاد، وكانت تنقل الأخبار من شخص لآخر، عندما تستلم المعاطف، أو عند إعادتها لأصحابها. من الساهرين من الأدباء، واستقبال الأدباء الضيوف القادمين من خارج البلاد، مهرجانات اليوبيل،ليس هناك شعب آخر، كانت له حياة أدب، وثقافة، وهكذا، متوقدة تملأها المشاعر الشعبية بكل الاهتمام، مثلما كان لنا بوارسو».

بارك «فويجلمان» أن كل ما قاله «فيسرود»، وهو يتذكر «تلومتسيكا١٣»، منذ طفولته، حيث كان والده يصطحبه إلى هناك، وكانت تلك أسرة كبيرة، لم تكن الحياة

بالبيت، لكنها كانت مع النساء والأولاد، مع الحب والبغض، مع الحبيبات والخليلات، مع الخيانة، والخصومات، و لنزاعات»[1].

تنطوي الفقرة السابقة على بانوراما واضحة للحياة الثقافية اليهودية في الشتات، وخاصة من الناحية المكانية في «وارسو»، والزمانية «قبل الحرب».

وتبرز هذه الفقرة الحياة الثقافية والأدبية في تلك الفترة، بشكل يعطيها، طابعاً قويًا، في مقابل الثقافة العبرية الحالية بدولة إسرائيل، فمع اعتراف الكاتب بازدهار الحياة الأدبية العبرية بأدبائها، ومعاهدها، ولقاءات الأدباء «بدار الأديب»[2]، في الوقت الراهن بإسرائيل، إلا أنه يضع ذلك كله في مرتبة أدنى، وأقل، مما كان في وارسو، قبل الحرب، حيث يقول: «الذي كان في وارسو قبل الحرب، لا يوجد بإسرائيل، ولن يوجد».

ويصور الكاتب الحياة الثقافية والأدبية والصحفية، في وارسو، قبل الحرب، على أنها حياة شاملة، وكاملة، وليست مجرد ثقافة نابعة من خلال مجموعة محددة من الأدباء بلغة معينة، ولكنها حياة كاملة من الترابط بين الكتاب، والفنانين، والجماهير العادية، في ملتقى دائم، هو محط أنظار الجميع هناك، في تلك الفترة، وهو «تلومتسيكا ١٣»، حيث يقول: « كان الأدباء والصحفيون يلتقون فيه طوال اليوم، وحتى ساعة متأخرة من الليل، ومن يأتي من خارج المدينة، وليس له مكان للإقامة، كان يقيم به أيضًا». وثمة حرص من الجميع للتوجه إلى ذلك المكان، حتى الذين لا يملكون وقتا كافياً، كانوا يتوجهون إليه في أوقات الفراغ الضئيلة، التي تعد بمثابة راحة، أو فاصل بين فترة عمل وأخرى، حيث كتب ميجد: « وفي كل ساعة فراغ بين نوبة حراسة وأخرى، وبين مهمة

(١) ميجد، مصدر سبق ذكره، ص ٨٣.

(٢) المصدر نفسه، ص ٨٢.

أخرى كان الجميع يسعون إلى «تلومتسيكا١٣» يتناقشون، يتبادلون الآراء، يقرؤون يتنقلون بين دفتي الصحف، التي خرجت على التو من المطابع».

وتبرز الصورة كاملة عن الحياة في وارسو ليهود الشتات، فلم يغفل الكاتب لناحية الاقتصادية، آنذاك، وتأثيرها على الجوانب الثقافية، والأدبية، فقد أشار إلى وجود مطعم رخيص الأسعار، وعلى الرغم من ذلك، فمعظم المترددين كانوا لا يملكون ما يدفعونه مقابل تناولهم الوجبات الرخيصة، مما يدلل على حالة من الكساد والفقر، آنذاك، «كان الجوعى كثيرين، الذين لا يملكون حتى «فروتا» في جيوبهم، ويأخذون بالدين، ولم يحرصوا حتى على السداد، وكان «تلومتسيكا ١٣» بمثابة حلقة اتصال اجتماعية، وسياسية بين الجميع، من خلال الحرص الزائد على التواجد به في كل المناسبات، وقد كانت الأخبار العامة، والخاصة، تنقل الجميع من خلال اللقاءات، ومن خلال همزة الوصل، السيدة «جعبعر»، وهي السيدة المسؤولة عن الأمانات في هذا الدار، التي اعتبرت بمثابة وكالة للأنباء بين مرتادي البيت، أو المطعم، أو الحانة، التي كانوا يجتمعون ويلتقون فيها.

وفي النهاية، يقرر الكاتب أن الحياة الثقافية والأدبية، التي كانت، آنذاك، قبل الحرب، في وارسو، لم تطاولها ثقافة أخرى. وهنا تبرز المقارنة واضحة بين تلك الثقافة، التي كانت بالشتات، وهو ما واقع بالفعل، حالياً، في إسرائيل، فمن وجهة نظر الكاتب الإسرائيلي، بأنه على الرغم من هذا الازدهار والنمو للأدب، الذي يكتب بالعبرية، فإنه لا يصل إلى المرتبة، التي كان عليها الأدب الييديشي، في وارسو، آنذاك، « ليس هناك شعب آخر كانت له أدب وثقافة على غرار ما كان ليهود الشتات ببولندا، ثقافة متوقدة تملأها المشاعر الشعبية، بكل الاهتمام، مثلما كان لنا بوارسو»، ما يعني بتفرد الثقافة، وازدهارها في «وارسو».

ولم تكن «تلومتسيكا ١٣»، المؤسسة الوحيدة للثقافة والأدب ليهود الشتات، في «وارسو»، ولكن كانت هناك مؤسسات أخرى تشارك في هذه الحياة الثقافية بشارع «نالبكي»، حيث ذكر ميجد أنه وعلى مدى بضع دقائق، سيرًا على الأقدام، من هناك، كانت توجد مؤسسة «ماعنط»، وبشارع «حلودنه» المجاور كانت هناك مؤسسة «هينط، بشارع «ليشنا» معهد الممثلين.

وقد حرص الكاتب أن يورد هذه الأسماء كما هي بلغة اليديش، وكما هي في الواقع، خلال تلك الفترة التاريخية من حياة يهود الشتات، وهذا يؤكد النهج الواقعي «لميجد»، حيث يلتزم بالزمان، والمكان، وتفاعله مع البيئة المحيطة له، حيث تبدو الملامح الشخصية للكاتب، وسيرته الذاتية، واضحة بشكل كبير من حيث انتماء «ميجد» ليهود وفترة الشتات، وتحديدًا، في بولندا.

■ تاريخ الشتات اليهودي:

يعرض «ميجد» في رواية «فويجلمان»، الصعاب التي تعترض طريق الباحث في الماضي والتاريخ اليهوديين في الشتات، حيث تصدمه الحقائق عندما يبحث فيما حدث من أعمال قتل، وإبادة لليهود، آنذاك، وفي المقابل، كانت هناك سلبية من جانب اليهود، أدت بهم إلى هذا المصير، الذي يثير فزع الباحث في هذا التاريخ، وجاء على لسان «تسفى أربيل»، حول هذا المعنى، قوله:

«الأمر الذي يجعل الباحث في التاريخ اليهودي في الشتات، يائسًا جداً، هو الفجوة النادرة، التي تقارب العدم، خاصة الخيار بين الأمور، وبتعبير آخر: المسائل التي يستعرضها أمامه من نوع: ماذا كان يحدث هناك؟ وليست لهم إجابات أخرى سوى التي تعرض له الواقع»[١].

(١) ميجد، مصدر سبق ذكره، ص ٩٣.

إذا كان «تسفى أربيل»، وهو أستاذ للتاريخ اليهودي، ومن الباحثين الذين يصدرون، وينشرون كتبًا وأبحاثًا حول هذا التاريخ اليهودي، معنيًا بتاريخ الشتات، ولغته «اليديش»، حيث ساعد «فويجلمان»، شاعر اليديش، في ترجمة أشعاره للعبرية، وقد كلفه هذا الغالي والنفيس، من تدمير لأسرته، وانتحار زوجته. لكنه في الوقت نفسه، يعتز بمهنته، ويستمر فيها، ويحاول إقناع ابنه «يوآب»، بأن يهتم بالتاريخ، وأن يمتهن التاريخ اليهودي، أيضًا، إلا أنه يستشعر اليأس عند البحث في تاريخ الشتات، فهو يبحث عن إيجابيات، وفضائل اليهود، لتكون بمثابة الفخر والاعتزاز، ولكنه يصطدم بالسلبيات، على الدوام.

وفي موضع آخر من الرواية، يقول:

«الحكمة المأثورة التي قالها «سنتيانه»: من ينسى الماضي محكوم عليه أن يعيشه مرة أخرى، ومن غير الممكن تطبيق ذلك على التاريخ اليهودي، لكن هنا، أيضًا، من يذكر الماضي محكوم عليه أن يعيشه مرة أخرى». يختلف تاريخ اليهود في الشتات من حيث دراسته، وعرضه من جديد على الأجيال المعاصرة، حول دراسة أي تاريخ آخر، ففي الوقت الذي ينظر فيه باحث التاريخ إلى أهمية الشتات اليهودي، فإن أحداث الإبادة تدين مجموعات اليهود، وتصرفهم حيال ذلك، كما تدين الذين نفذوا هذه المذابح ضدهم، وبالتالي، يأتي استرجاع هذه الأحداث مصحوبا بالآلام، والأحزان، التي تفرض عليهم أن يعيشوا تلك الأحداث المؤسفة من جديد، ومن ثم، كان الشتات من هذه الناحية التاريخية، مثارًا للأحزان واليأس[1].

وفي موضع آخر من رواية فويج

لمان يتحاور «أروينج»، مع «تسفى أربيل»، حول التاريخ، والانتماء اليهودي،

(١) المصدر نفسه، ص ٣٠.

والقومية اليهودية، والانتماء لها على لإطلاق، حيث يروى «ميحد» على لسان أستاذ التاريخ اليهودي، من خلال توجه «أروينج»، بحديثه إليه، حيث دار هذا الحوار بينهما:

«حكى لي والدي بأنك تدرس التاريخ اليهودي، وأهتم بتلك الفترات التي تهمني، وهذه الموضوعات، ما هي طريقة البحث عندي؟

والجوابي «أربيل»، وجدت أذنًا صاغية، وحرك رأسه في أعقاب كل فقرة كموافق.

عندما أنهيت حديثي، احتضن أكتافه بذراعيه الطويلتين، كمن يخشى نزلة برد، وقال: من أجلي، ومن أجل الحقيقة، كل هذا لا يقال، كثيراً.

« من الصعب عليّ القول بأني أشعر في قرارة نفسي بأني يهودي، علاوة على الأصل، كما هو واضح، أمر لا يتعلق بي، وعندما التزمت الصمت، رأى إنه من الواجب أن يوضح النزعة القومية، وكأنها مستوحاة بشعور مشترك ». فهو يشعر بتعاون كبير – روحاني، وحتى لو نفسي – مع أستاذ ياباني، إذ إن نظرته الفلسفية قريبة لما عنده، ولا يشعر بمشاركة ما على الإطلاق، مع صاحب متجر يهودي من «فلعصيل»، بباريس.

وهناك نموج متطرف جدًا بينه، وبين دكتور ألماني شاب، انطوائي، رقيق النفس، إذ إنه يكثر من لقائه، حيث تعرف عليه في أكسفورد، اندلعت حرب نفسية كبيرة جدًا بينه، وبين أخته «مئورليان»، حيث لا توجد لغة مشتركة بينهما»[١].

تمتزج الفقرة السابقة في مضمونها بالسخرية اللاذعة، التي تعرض واقع فكر

(١) المصدر نفسه، الصفحة نفسها .

الشباب اليهودي في الشتات، حيث تربى على ثقافة الغرب، وفكره، وبالتالي امتلك فلسفة تعبر عن القومية بأنها الشعور المشترك، والنظرة الفلسفية المشتركة، ومن هنا، يجد نفسه مشاركاً بنزعته مع أستاذ ياباني، ويرفض، تمامًا، أن يكون يهوديًا، ويأتي الرفض، قاطعاً، والتدليل بأسلوب ساخر ولاذع، حيث يقرر عدم ارتباطه بأي شخص، لكونه يهودياً، دون أية رابطة مشتركة ويريد أن يقول: ما الذي يجعله يرتبط بصاحب متجر بباريس لكونه يهودياً؟

ويقرر بأنه لا يشعر في داخله بأنه يهودي، على الرغم مما أفرده أمامه والده «فويجلمان»، «شاعر اليديش» من تاريخ الشتات، وتاريخ اليهود، والفترات المهمة التي يقوم ببحثها «أربيل».

ويذهب الكاتب بتعبيره عن حالة هذا الشاب إلى أقصى ما يمكن من رفض لليهودية، والانتساب إليها، وذلك للعلاقة بينه وبين شاب ألماني، وقد وصف الكاتب هذه العلاقة بأنها نموذج للتطرف، ولكن هذه العلاقة تأتي متوائمة مع فكره، وفلسفته، ورفضه لليهودية.

وفي إحدى اللقاءات الصحفية مع «ميجد»، والتي تمت على صفحات مجلة «معاريف» الأسبوعية، مع نجله الصحفي «أيال»، يقول: « إن مجهود الناجين من [الشتات]، للأخذ بأسلوب الحياة، هنا [إسرائيل]، هو بمثابة مجهود ميؤوس منه، إنك تشاهدهم حولنا، وفي كل مكان ترتاده، تجد بهم جرحًا، جرحًا صارخًا، وعندما انتهيت من كتابة رواية فويجلمان، قلت لنفسي : هذا هو المطلوب، قلت : إن هذا يعنيني، تلك هي وصيتي. هذا هو الذي أرغب في بقائه، توجد في هذه الرواية رواسب عاطفية وعميقة جداً عن ارتباطي بالشعب اليهودي، لأنه هو الارتباط المهم جداً بالنسبة لي، فهو نابع من الإيمان بأننا جميعًا كيهود، لنا علامات مميزة

فرضت علينا «اتفاقا»، إن لم يكن العالم المسيحي، وملايين المسلمين، فمن هذه الناحية، لا يوجد أي تناسق بين العدل اليهودي، والعدل العربي»[1].

وبناء على هذه الصورة، التي رسمها «ميجد» لمعاناة الناجين من الشتات، فإنه يقدم رؤية أدبية جديدة، تمثل الحل لهذه القضية من جذورها الأولى. حيث يلجأ إلى الأدوات الفنية للأسلوب الواقعي، في المزج بين الخيال والواقع، وذلك باسترجاع عجلة التاريخ، والعودة إلى الزمن الحقيقي للأحداث، والتعامل مع الواقع، الذي كان سائداً، آنذاك، حول أحداث النازية، والعمل على وقف إبادة اليهود هناك.

وهنا نجد أن «ميجد» ملتزماً في رؤيته الأدبية بأركان الواقعية المتمثلة في الخيال، وهو الحل بالاتفاق مع «هتلر»، حتى يتوقف عن إبادة اليهود، وبالواقع المتمثل في الأماكن، والأزمنة الحقيقية لتلك الأحداث، ويتم المزج بين الخيال والواقع في رواية له لم تر النور بعد، وعنها، يقول: «إنه من الواجب عمل كل شيء لمنع خروج الاتفاق لحيز التنفيذ، ولو عن طريق الحل الوسط».

- اتفاق مع المافيا؟
- لمنع الإبادة، اتفق حتى مع الشيطان.
- من المهم أن تقول هذا.

- الرواية التي أكتبها، الآن، هي بالتحديد عن هذا الموضوع، حول محاولة للوصول إلى عمق متوازن مع «هتلر»، من أجل الإبقاء على حياة اليهود، وذلك بإعادة عجلة التاريخ للوراء»[2].

---

(١) الشامي، الشخصية اليهودية...، مصدر سبق ذكره، ص ١٤٦ ـ ١٤٧.

(٢) جرتس نوريت، (الجامعة المفتوحة لدراسة التاريخ وثقافته-الطائفة الكنعانية بين الأيدولوجيا والأدب)، تل أبيب، ١٩٨٣، ص ٣٨٩.

وفي الوقت الذي يقدم فيه «ميجد» حلا لمنع إبادة اليهود، من خلال رؤية أدبية، تتمثل في التفاهم والتوافق مع هتلر، من خلال استرجاع عجلة التاريخ، نرى أن هذه الرؤية تختفي عند الأدباء الآخرين. فعلى سبيل المثال، في رواية «حب متأخر»، «لعاموس عوز»، نجد أن الحل عدواني، وانتقامي. ولكنها رؤية أدبية تعبر عن جانب من جوانب الفكر الصهيوني، الرامي لتوسيع مصالح إسرائيل، في الدول المجاورة، وحتى أوربا.

«وقد عبر الأديب الإسرائيلي «عاموس عوز»، في روايته «حب متأخر»، عن نبوءة أدبية، تعكس الرغبة في الانتقام ممن اضطهدوا اليهود في أوروبا، «الروس والنازيين»، على حد سواء. إنه يرى بعينيه كيف يقتحم الجيش الإسرائيلي أرجاء أوروبا لينتقم للدم المسفوك، «بغضب عارم اندفعت، فجأة، طوابير المدرعات العبرية على طول الغابات البولونية المظلمة، وكل من اعترض طريقها كانوا يرشقونه بدفعات النيران، وطوابير نازية طويلة، وخطوط خنادق، وحصون كئيبة، وتحركت عاصفة الخراب في أرجاء بولونيا، دون أن تستطيع قوة في العالم أن توقفها، أي غضب يهودي يجتاح أرض السلافيين، ويكنس الحقول والغابات ويجرف، ويتقدم للأمام... ، وبغضب جارف أحرقوا كل الكتائب المشاغبة في الطريق، بولونيا، ولتوانيا، وأوكرانيا، وفي عدو لاهث، دون توقف، ودون النظر إلى ما يدمر، وإلى ما يحرق إلى الشرق، ورأيت «موشيه ديان»، وهو يرتدي ملابس القتال المعفرة على جسده، يقف هادئًا، ومنتصبًا، صامتًا، ومخيفًا، وهو يتلقى في هدوء متجهم وثيقة الاستسلام من الجنرال «جويرناتور»، قائد «كيشنيف».

وعلى الرغم من توظيف الخيال في الرؤية الأدبية، التي عرضها «ميجد»، وكذلك عند «عاموس عوز»، فإن الصورة التي رسمها «ميجد» أكثر واقعية لتناسقها مع

الواقع الحالي للناجين من الشتات، ومعاناتهم داخل إسرائيل، وبالتالي فإن هذه الرؤية تقدم الحل الموضوعي لبقائهم في الشتات، وتمتعهم بحياة هادئة، بعيداً عن تعرضهم للإبادة، وتدهور الأوضاع الأمنية، وبالتالي وقف هجرتهم لإسرائيل، حيث المعاناة، التي أشار إليها «ميجد»، في معرض حديث عن حياتهم بإسرائيل.

ومع ارتفاع صوت المنادين بالدفاع عن «الشتات»، وثقافته، ولغته في المجتمع الإسرائيلي، نجد أن الطرف الثاني المناصر للكنعانية، وثقافتها، ولغتها، والرافض للشتات، يجابه ذلك التيار « فقد رفعت جماعة » بمأفق « والجماعة الكنعانية» راية عدم الاعتراف بما يسمى بالمصطلح انصهيوني «المنفى»، وبثقافته، والإعلان عن أن الثقافة العبرية الجديدة تنبع من فلسطين، من الشباب الذي تربى عليها، ومن خلال الارتباط بثقافة لها ماضيها، ولكن كان الاختلاف بين الجماعتين حول تعريف الأمة العبرية، وثقافتها. اعترفت جماعة « بمأفق » بتاريخ جميع الشعوب، التي سيطرت على المنطقة، كجزء من التاريخ العبري، ولكن الكنعانيين رأوا في الثقافة الكنعانية القديمة فحسب، الثقافة الحقيقية للأمة العبرية. كانت الاعترافات التاريخية المختلفة المرتبطة ببعضها، بمثابة اعترافات بهويات مختلفة، مما يخالف موقف الجماعة الكنعانية، حيث رأت جماعة بمأفق إمكانية خلط سياسي «فيدرالي» جماعي، وثقافي للأمم السامية».

وعلى الرغم من تبلور اتجاه الحركة الكنعانية، وخاصة بين صفوف الشباب الرافض للفكر الجالوتي، فإن الفكر الكنعاني قد أصيب في الصميم، من جراء تزايد عدد المهاجرين، والقادمين من الشتات، وخاصة في أعقاب أحداث النازية «فقد أدت أحداث النازية، والهجرة الكبيرة للبلاد، إلى تقوية، وانتشار الاتجاه التقليدي، واللقاء مع الناجين من أحداث النازية، حيث أُلزم الصبّار بأن يفحص من جديد

هويته، وعلاقته باليهودي المضطهد، فاعتباره كعبري كان من الواجب عليه أن يكون على العكس منه، تماماً، واللقاء مع يهودي أوربا، شد من أزر جيل الآباء والأبناء، كإحساس بالاتهام تجاه الماضي اليهودي، الذي أهمل، وسلب، وبهذا أسدل الستار على الفكر الكنعاني»[1].

ولا يزال المنادون بتمجيد الشتات، ولغته يبذلون قصارى جهدهم، وعلى رأسهم من الأدباء «أهارون ميجد»، لإحياء «اليديش»، لتأخذ مكانها كلغة أم للثقافة اليهودية.

◆◆◆

(١) المصدر نفسه، ص ٣٣٩.

obeikan.com